آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
مجلة علميّة نصف سنويّة (مقالة علميّة محكّمة)، السنة ٢٣، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٤٢ – ١٤٤١ هـ.ق، ١٠٥-١٢٩

بانورامية الخوف لدى مارغريت
في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق

صمد رضايي*
جميل جعفري**

الملخص

تتموضع أقاليم الخوف ضمن روايات شبه بوليسية تمثّل فيها الكاتبة بالاستعانة من شخصية البطلة المترعرعة في البيئة الأميركية سلبية الحياة في أقاليم الشرق الإسلامي. تتميز هذه الرواية بأسلوب لايوفر للقارئ التعرف على واقع الشخصية للبطلة بتسلسل الأحداث إلا بمفاجئته في آخر الرواية بالاعتراف منها في مشروع سري برمجته المنظمات الأميركية لسرقة الجينات الذكية للأدمغة العربية. تهدف هذه المقالة من خلال المنهج الوصفي – التحليلي إلى إلقاء الضوء على أهم الأسباب التي تتيقظ بها مشاعر الخوف بتمثلاته السلبية للإنسان الشرقي في المجتمعات المحافظة. لقد تمثلت أهمية البحث في خطابات الساردة الواصفة لفضاء الثالوث المحرم (الجنس، السياسة والدين) الذي قلما خاضت فيه الكاتبات الجزائرية وهي خطاب صريح وخارج عن القيم المألوفة لما فيها من خروج على الأعراف

* دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، مدرس جامعة بيام نور، طهران، إيران (الكاتب المسؤول)، s.rezaei114@gmail.com
** الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والآداب، جامعة كردستان، سنندج، إيران
j.jafari@uok.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/١٢/٢٠، تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٣/٢٣

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

الاجتماعيّة والأدبية. تدل حصيلة ما توصل إليه المقال على أن الساردة من خلال طرح المضامين المحظورة تريد أن تصور الفساد المنتشر في أجواء العالم الشرقي المستتر وراء القيم الأخلاقية وتؤكد الرواية أن ممارسات أصحاب الديانات ممن يعرجون على سلّم العنف والكراهية مرفوضة من جانب الدين الصحيح كما تكشف عن واقع السياسة الأميركية ومخاوفها التي تتظاهر ببذل الجهود لإنماء الدول الشرقية وهي في الحقيقة كدس السم في العسل تنوي من وراءها الاحتلال البغيض والاستيلاء على خيرات البلاد ونهب ثرواتها.

الكلمات الرئيسة: رواية أقاليم الخوف، مارغريت، فضيلة الفاروق، بانوراما الخوف.

١. المقدمة

يتمحور النص السردي لدى الكاتبة فضيلة الفاروق بتمظهراته النسوية حول ملامح الخطاب الأنثوي في إطار تنمية وعي المرأة تجاه نفسها والواقع المعيشي في مجتمعات أبوية الفكر بدّدت حسب نظرتها طموحات المرأة العربية وكان جلّ اهتمامها منصبّا على تصوير الظروف السائده التي تهمل فيها حقوق المرأة الضائعة بالممارسات التعسفية في المجتمعات التقليدية. التفتت الكاتبة في أقاليم الخوف كما دلّ عليها العنوان إلى المجتمعات الشرقية لتستقطب انتباه القارئ إلى ترصد حالاتها المزرية في ظل التحولات الطارئة على مستوى الظروف الاجتماعية. فهي بتوظيفها هذا المركب الإضافي تعلن عن صيغته المحملة «بنبرة اللاتوافق والصراع بين كتل مختلفة ضمن نطاقات جغرافية عديدة تعكسها كلمة أقاليم...ومن هنا [الخوف]، تتجلى الصلة الدلالية الرابطة بين التعددية الفضائية التي يُتوقع ان تعرف الخراب والظلام والموت على حساب الاستقرار والحياة» (ركاب، ٢٠١٧م: ٢٠٦). قد عمدت الساردة في هذه الرواية بأسلوب متفاوت بين المباشرة والإيحاء إلى ثيمات الخوف التي تحاصر البطلة وتطاردها في حياتها منذ طفولتها بما تتذكره من حادث الهجوم الانتحاري الذي تعرضت له أسرتها إلى ما يستتبع هذا الحادث وتراه من أحداث سوداوية توسع نطاقها في أقاليم الشرق الإسلامي. تخوض الكاتبة في هذه الرواية، الصراعات الناجمة عن الأديان والمذاهب وما أسفر عن حروب

وتوترات تظهر على واقع الحياة للإنسان الشرقي في مهبط القيم النبيلة. تجتمع خطابات الفاروق الواصفة لثيمة الخوف المهيمن على البقاع الشرقية لتصنع منها فضاءً آثما يتنقل في حركة دائبة بين العادات والسلوكيات المنافية لأخلاقيات المجتمع المحافظ. قد سعت الفاروق في هذه الرواية إلى إنتاج شخصية نسوية وجعلها في مركز النص السردي، لتغير بها الحالة المفروضة على المرأة في الساحة الأدبية والروائية. تتبنى الساردة في هذا العمل الأدبي آليات مختلفة من التقنيات الزمنية والفنية واللغوية لتخفف من رتابة السرد للقارئ ويتفاعل معها في الأحداث. إن القضايا التي تطرقت إليها الكاتبة «تأتي لتؤكد نزعة الأدب النسوي العربي الحديث إلى الثورة على كل الأعراف الأدبية والاجتماعية وتقويض النظرية الأدبية الذكورية» (صفوري، ٢٠١٣م: ٨٤).

١.١ نبذة عن الرواية

تتلخص أحداث الرواية حول امرأة مسيحية ذات جذور عربية تدعى 'مارغريت' ترعرعت في ظل الثقافات الغربية في نيويورك مرتدية برداء الأنا الغربية العاكسة للوجود المعرّى من الفلسفات الشرقية. تعرفت هناك على أستاذ جامعي لبناني فيقرّرا الزواج ثم تعود مع زوجها إلى بيروت، فتملّ من البقاء في بيروت لروتينية الأحداث التي لم تتناسب مع طبيعتها المتحررة وتواكب زوجها في رحلتهما الترفيهية إلى شرق آسيا وتلتقي هناك بصديقها الصحفي فتتكون لديهما علاقات أدّت إلى الانفصال عن زوجها بالطلاق لما رأت فيه من تغير المزاج، فتشدّ الرحال لمصاحبته في مغامراته الرحلية إلى البلاد الموبوءة بالطائفية والحروب فينتابها الشعور بالقلق فيها مما لاحظت من مشاهد مزعجة تنمّ عن مدى سلبية النمط السائد في الحياة الشرقية. وبعد رجوعها إلى بيروت تفاجأ بنبأ اختطاف نوا في بغداد فتسافر إلى العراق باحثة عن عشيقه المخطوف الذي قتله المنظمة السرية الأميركية في بغداد حين اطلع على مخاوف السياسة الأميركية في مشروع حقول البذور الذكية الذي طبّقه المخابرات الأميركية في بغداد لمتاجرة جينات علماء العراق وزرعها في بطون النساء الغربيات بغية إنجاب جيل جديد من العقول الذكية ومن هنا يفهم القارئ أن البطلة مارغريت كانت ناشطة أميركية جنّدت في

مرحلة مبكرة من حياتها في منظمة النسور السوداء السرية لتؤدي دورها الفاعل لمصالح السياسة الأميركية.

٢.١ منهج البحث وأسئلة البحث

تهدف هذه الدراسة المعتمدة على المنهج الوصفي – التحليلي، بتصديها لثيمات المسكوت عنه في خطابها الروائي إلى كشف واع عن الدلالات التي تستوعبها كلمة الخوف مع تفاعله بالتحديات العنيفة التي ما أفلت من قبضتها المجتمعات الشرقية سعيا للارتقاء بوعي القارئ عن السلبية التي يلمس صداها المرتفع على أصعدة الحياة الشرقية. ونطمح في دراستنا هذه، إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تمكنت الساردة أن تصوّر إشكالية الخوف وإثارتها في نصّ العمل الروائي؟ ما هي المساحة التي تصوّرها الفاروق في هذه الرواية من التوترات البانورامية للواقع المعيش في الأقاليم الإسلامية؟ إلى أي مدى نجحت الروائية بما تتولاها هذه الرواية في الحكي عن أفكارها داخل البنية الاجتماعية للمجتمعات العربية؟

٣.١ خلفية البحث

هناك عدد من البحوث والدراسات والرسائل الجامعية تقترب مواضيعها من دراستنا، فنولي هُنا الاهتمام بالإشارة إلى أهمها:

- عبدالله ركاب، «سلطة العنوان وتشظي الدلالة في رواية أقاليم الخوف»، مجلة كلية الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر، ٢٠١٧م. عالج الكاتب فيها دراسة أغوار العتبة وصلتها بباقي العتبات المتواشجة وفق المقاربة السيميائية والتناصية وتختلف في مجالي المضمون والشكل عن هذا البحث.
- إيمان مليكي، «ثيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية النسوية بين الاعتدال والابتذال؛ رواية أقاليم الخوف أنموذجا»، مجلة دراسات معاصرة لجامعة تيسمسليت، ٢٠١٨م. تطرق فيها الكاتب إلى دراسة المضمون الروائي للنظر في مدى الأسلوب

المتعلق بثيمة المسكوت عنه. لاننكر أنّ فيها بعض التشابه في العنوان مع بحثنا هذا، خاصة حينما أحلنا إليها في بعض المقاطع للتوضيح عما سنحاول دراسته في هذا المقال، ولكن تختلف هذه الدراسة عن بحثنا من ناحية انحصارها على الثيمات الثلاث بصورة كلية دون الإشارة إلى التفاصيل المعنونة في بحثنا مع أنها تختلف أيضا من ناحية الأسلوب ومعالجة المضامين خاصة فيما تشير بصورة صريحة إلى بعض المحظورات الأخلاقية التي تحاشينا عنه في هذا المقال مراعاةً للقيم الأخلاقية في الكتابة.

- صالح الدين ملفوف، «جدلية الأنا والآخر في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق»، مجلة اللغة العربية، الجزائر ٢٠١٩م. عالج الكاتب فيها إثبات حضور الأنا (الأنثى) واسترداد اعتبارها في مقابل تهميش الآخر (الذكر). هذه المقالة دراسة شبه نفسية تدورحول إثبات الذات الأنثوية وتختلف من ناحية الاسلوب والمضمون عما عالجناه في هذا المقال، مع أننا أشرنا إليه في بعض المقاطع.
- محمد صفوري، «سقوط الأقنعة في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق»، مجلة مجمع اللغة العربية، ٢٠١٣م. عالج الكاتب فيها ثيمات أساسية تنحصر أغلبيتها على الجنس، والسياسة، والدين. هذه المقالة مهمة بالنسبة لسائر الدراسات من ناحية المضمون. أشارت هذه المقالة من خلال سطورها إلى ثيمة الخوف كثيمة مستقلة بجانب سائر الثيمات المسكوت عنه، في حين أنّ بحثنا ركز على الخوف كثيمة رئيسية تندرج تحتها سائر العناوين كما تقتضي روح الرواية، بالإضافة أن أسلوبها تشبه المنحى التقريري في حال أن مقالنا هذا يقارب المنحى التحليلي.
- زهرة تعزبين، الويزة شاريخ، «الذات في الكتابة النسوية، أقاليم الخوف – دراسة نفسية–»، رسالة الماجيستر، جامعة عبدالرحمن ميرة، الجزائر، ٢٠١٣م. تطرقت الكاتبتان فيها إلى دراسة بعض الجوانب النفسية في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق كنموذج للكتابة النسوية الجزائرية وتختلف من ناحية المضمون عما تطرقنا إليه في هذا الوجيز.

الدراسات التي اهتمت بأعمال فضيلة الفاروق وخاصة هذا العمل الأدبي قليلة ولعل هذه الدراسة التي تتسم بمحاولة الكشف عن مكونات البيئة السوسيولوجية وإماطة اللثام عن ثيمات المسكوت عنه تعتبر جديدة من هذا الجانب وعلى وجه التحديد في البيئة الداخلية.

٢. المفاهيم والتعاريف

يصف كثير من الناس عصرنا الحالي بأنه عصر القلق على المستويين الفردي والجماعي، لأنه عصر يتميز بأنه ذو إيقاع سريع، شديد التقلب، كما تكثر فيه التوترات والضغوط النفسية، وهناك اتفاق بين المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي في أن القلق يمثل عصب الحياة النفسية السوية وغير السوية، ويعدّ المدخل الجوهري لدراسة الصحة النفسية للإنسان. وبناءً على هذا، فقد اخترنا نظرية فرويد عن **القلق الموضوعي** وما يتمخّض عنه من الخوف والألم، كإطار نظريّ لدراستنا هذه. فمفهوم القلق من المفاهيم التي نالت حظّاً وفيرا من الاهتمام في الدراسات النفسية ولعلّ فرويد هو أول مَن تمكن من تقديم تعريف جامع له وتقسيمه على أساس مشاهداتٍ سايكلوجية وعصابية دقيقة.

تعريف القلق: «القلق حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يتملّك الإنسان ويسبّب له الكثير من الكدر والضيق والألم» (فرويد، ١٩٨٩: ١٣).

أنواع القلق لدى فرويد: كما تبيّن قبل قليل، فرويد تصدّى لحالات مختلفة عن القلق التي شاهدها طوال معالجته لمرضى نفسيين وهو تنبّه إلى وجود اختلاف يسير بين نوعين منها، ثمّ على أساس مستجدّاته الهامّة تمكن من التمييز بين نوعين من القلق وتقسيمه إلى: ١. القلق الموضوعي؛ ٢. القلق العصابي.

تعريف القلق الموضوعيّ: أما القلق الموضوعي الذي نحن بصدده في هذا البحث فيعرّفه فرويد بعبارته هذه: «القلق الموضوعي هو خوف من خطر خارجي معروف كالخوف من حيوان مفترس أو من الحريق أو من الغرق. وهذا النوع من الخوف أمر مفهوم ومعقول. فالإنسان يخافُ عادةً من الأخطار الخارجية التي تهدّد حياتَه» (*نفس المصدر:* ١٤).

لقد تبيّنت لنا ضمن هذا البحث أنّ الكاتبة استطاعت بنظام لغتها الروائية أن تضع بصمتها في واقع القضايا الممنوعة دون خجل، وباختراقها المحظورات قطعت شوطا بعيدا في الرواية المعاصرة وإنها لقد تعرضت ضمن رحلتها إلى الشرق والتعرف على مخاوف الأقاليم الجديدة لحالات مُقلِقة وعصابية. وبما أنّ الرواية من بدايتها إلى نهايتها تقوم على إسقاط الضوء على جملة من دلالات ثقافية وايدئولوجية ترتبط بفكر الكاتبة ورؤيتها الاجتماعية إلى جحيم الشرق كما تتصورها في بداية الرواية، فقد ينتهي كل هذه الأشياء إلى القلق الموضوعي الذي يظهر نتيجة رد فعل طبيعي لخطر خارجي. والقلق الموضوعي بدوره يثير المخاوف وينتهي إلى كل هذه الثيمات التي سنتكلّم عنها في المقال.

٣. القسم التحليلي

شغلت ثيمة الخوف مساحة واسعة في رواية أقاليم الخوف وهو «انفعال قوي غير سار ينتج عن الإحساس بوجود خطر أو توقع حدوثه» (إبراهيم سليم، ٢٠١١م: ٢٧١). تناولت الكاتبة في الرواية هذه القضية ودلالتها السلبية «في بعض المواضع بصورة مباشرة، وتأتي أحيانا مرتبطة بثيمات أخرى، مما يبرر الإسم المختار للرواية» (صفوري، ٢٠١٣م: ٦٥)، حيث بإمكاننا القول إنه لاتوجد بلاد في العالم الشرقي تشم غبارها مارغريت إلا أن تتمثل لديها مشاعر الخوف والرهبة فيها تارة بصورة مباشرة وتارة بصورة غير مباشرة. تصف مارغريت تلك الثيمة بقولها هذا: «الشرق يعطينا شعورا بالخوف،...كأننا نعيش في خلاء تجتمع فيه كائنات مسعورات مستعدة فقط لجزّ رؤوسنا لأسباب تافهة...في مدن أخرى نحب الله ونستمتع بطبيعته ونعشق كونه وفي مدن الشرق هذه، نخاف من الله ونرتعب منه» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٤٧).

عندما ترجع مارغريت مع زوجها من نيويورك إلى بيروت تنفتح أمامها آفاق جديدة جرّتها إلى أن تعيش تجربة جديدة تزرع بذور الخوف في حقول دمها إثر تعرفها على ملامح الفوضى المنتشرة في أجوائها: «لايهم أن أتجرع الخوف يوميا في ذلك الشرق، عشت قلقا كثيرا في بيروت... رعب الطائفية النائمة تحت سطح شفاف وهشّ. وحتى رعب المصاعد

التي تتوقف فجأة حين تنقطع الكهرباء، عشته وتحمّلته» (*نفس المصدر*: ۷۸-۷۷)، وفي هذا المقطع تبدو «الحالة النفسية التي تعيشها مارغريت جعلتها تعيش في خوف وقلق دائم حتى أنها أصبحت لاتفرق بين الحقيقة والحلم وكانت تشعر دائما بالضيق و الاختناق» (تعزبين وشاريخ، ۲۰۱۳م: ۷۳). ومن هذا المنطلق نتناول بعض المثيرات الرئيسية التي تتيقظ بها مشاعر الخوف في شخصية البطلة في البيئة المحيطة بها.

۱.۳ نظرة الكاتبة إلى الدين

كانت مارغريت مسيحية تنظر إلى الدين -حسب ما تدّعيه الرواية- بنظرة سيكولارية شخصية «في إطار التعريف المدني البعيد عن التمايزات الفئوية التي تخلقها الولاءات الطائفية والمذهبية» (مجموعة من المؤلفين، ۲۰۱۵م: ۲۷۳). فهي تندّد صريحة بتلك السلوكيات الأحادية التي تظهر عن خطاب الكراهية ضد الآخرين وتعتقد أن اتصاف الإنسان بالأخلاق لا صلة له أبدا بالدين والجنس وسائر الميزات، حيث تقول: «أما بعد أن عشت في بيروت، فقد أصبحت أرى فضاءات الأديان والتيارات السياسية تتصارع إما صمتا إما علنا، ...أن الأخلاق لا علاقة لها لا بدين ولا بجنس ولا بشهادات جامعية عالية» (الفاروق، ۲۰۱۰: ۲٤). أما ما شاهده هذه الشخصية من الظواهر السلبية الناجمة عن فهم ديني بين الشرقيين جرّتها أن تقف موقفا مضادا منهم ومن ثم تدور في رأسها تساؤلات كثيرة حول الخلافات الدينية التي تنحدر بمستواها التحريض على استخدام العنف ضد الآخرين.

۱.۱.۳ العصبية الدينية

تصف بطلة الشرق صوراً كابوسية من السلوك اللاسوى الديني لترسم للقاريء بأن الإيدئولوجية هي المحفز الأساسي للتطرف العنيف المتمحور حول الدين، خاصة حينما تستطرد إلى تلافيف الماضي وتذكر ما أصاب أسرتها في تفجير شرم الشيخ المرتبط بالجهاديين، فتتكلم بدءا بالمرارة عنه: «كنت أحاول أن أضمد جراحي من لوعة الشرق حين تعرضنا لانفجار عنيف إثر هجوم انتحاري في شرم الشيخ بمصر، ذهبت ضحيته والدتي، وأخي أسعد

ووالدي الذي كان معطوبا» (*نفس المصدر*: ١١). ومن هذا المنطلق واضح أن البطلة قد يكون من الصعب عليها أن تتناسى ما دار في ذاكرتها من ذلك الحادث المؤلم الذي اتسم بالصدام والمواجهة العنيفة، وهذه الهيمنة للفضاءات المظلمة بين الدمار والموت التي تفصح عنها بنبرة اللاتوافق المكاني تعني أن حضورها في البيئة الشرقية متوقع خطر التعرض للقتل أو الإصابة بجروح أو الوقوع ضحية للمعاملة السيئة، إذ تدين هذا النمط بـ «اللاتسامح الأقصى الذي يدفع إلى القضاء على الاعتدال بكل أنواعه و أشكاله» (نسيم، ٢٠١٤م: ٢٦).

انطلاقا مما شاهدت مارغريت من الأحداث الدامية، تؤكد أن هذه الطريقة العمياء أساس كل أمراض دينية، لا من الوجهة التنظيرية فحسب، بل من الوجهة العملية في ساحة الحياة الانسانية وكان أحد مظاهر هذه المشكلة التي تثير الخوف، زعزعة التعايش السلمي لدى مختلف الجماعات الدينية التي تترجم باعتداءات تمتحن فيها كل فئة عمق مشاعرها الممقوتة ضد الآخرين وترى عصبيتها منفردة باستحقاق الكرامة وتنظر إلى الأجنبي بنظرة لاتستحق التعاطف عليه، فتنقلب العصبية بهذا النهج مضرة تداعى بها بناء الاجتماع ويذهب بهاء الحياة الجماعية. تستهجن الساردة بتلك الهمجية وترى هذا النمط من السلوكيات الجارفة هي نتاج النفوس السبعية. لايرضى الله عنها: «لا أفهم كيف يقتل شخص أخاه من أجل الله؟ هل لحماية الله من شرّ المقتول؟... يا للمخلوقات الغبية المسكينة» (الفاروق، ٢٠١٠: ٩٥). وفي هذا المقطع توجه مبادراتها إلى التنديد علنا بالتطرف الذي أصبح أداة لتدمير الآخرين كما تلقي لومها على تلك التبريرات الدينية للأعمال المريعة تقترف باسم الدين، حيث يقوم الانسان بممارسات عنيفة ضد أخيه بما ثبت في ذهنه من التفسير الذي استقر في عقول الناس وأفئدتهم عن الدين بحكم سلوكهم الخاطئ؛ لأنه «عندما تضاف العقيدة الدينية ويزعم أن اقتراف العنف هو جزء لايتجزأ من أوامر الله، فإن الخلطة تصبح مدمرة وكما ذكر باسكال: الناس لا يقترفون الأعمال الشريرة بشكل كامل مثلما يفعلونها مدفوعين بالعقيدة الدينية» (إسماعيل، ٢٠١٥م: ٩٦).

٢.١.٣ الطائفية الدينية

ينكشف لمارغريت خلال إقامتها ببيروت عند عائلة زوجها أن روح الطائفية الدينية متفشية في الشرق وتقصد منها تلك النزعة الأحادية الرؤية التي ترتكز على تفوق حصري لعقيدة دينية

دون احترام لمعتقدات الديانات الأخرى؛ لأنها لاتنسجم مع تلك النزعة. تبدو هذه الظاهرة في الرواية تارة بين الإسلام والمسيحية بشكل لفظي، كما تقول عنها مارغريت خلال حديث دار بينها وبين أعضاء عائلة زوجها حول اسمها الغربية تعريضا بدونية معتقداتها، سيما في حين تريد أن تخاطبها أم زوجها: «وهي ترفض أن تناديني باسمي مارغريت وبعد أخذ وردّ ومناقشات بينهما وبين شهد، اختارت لي اسم 'مارية' فهو أخف لفظا ولا يسلخني عن مسيحيتي وهو غير ذلك اسم إحدى زوجات نبي الإسلام» (الفاروق،٢٠١٠م: ١٤)، وتارة بينهما بشكل مادي عنيف، تصف البطلة هذا الخيط من الطائفية في مغامرتها ببغداد باحثة عن صديقها الصحفي الذي اختطف فيها إثر رحلته إلى العراق أثناء الحرب وتقول: «مجرد وصولك إلى المطار تستقل سيارة يسرقك سائقها لأنك أجنبي وفي فقهه "المقدس؟؟" تجوز سرقتك لأنك لست مسلما» (*نفس المصدر*: ٦٥). لاتقتصر هذه الرؤية السلبية إلى الطائفية لديها في الشرق، بل تمتدَ جذورها إلى بعض أقاليم الغربية وهي تنقل ما شاهده زميلها الصحفي 'نوا' في كوسوفو من مجازر قام بها الصرب ضد المسلمين وتقول: «كانت قد عثرت على طفلة مسلمة وسط الدمار...كانت ترتجف وهي تستنجد بي بعينيها النقيتين، ثم رأيت الرصاصة تخترق رأسها الشفاف» (*نفس المصدر*: ٥٠). أن التطرف «عندما يكون دافعا عن الحرية، فإنه لايكون خطيئة» (سينشتاين، ٢٠١٤م: ٢٢٥)، ولكن أي حرية حصلت مما انتهج من طريقة اللامبالاة بحقوق الإنسان في هذه الأقاليم التي وضعت فيها مارغريت أقدامها، فهي بتوظيفها النهج النقدي تسجل تلك المسيرة التي تعرّض الحياة البشرية للدمار والإذلال القسري؛لأن التجربة التي اكتسبتها مارغريت في الشرق وعاشتها لم تر مثيلها في نيويورك ولهذا كثيرا ما تحاول أن تسلخ عن نفسيتها ثوب الشرقية التي سلطت الملل على حياتها.

٣.١.٣ التحايل الديني

تبلورت صورة مارغريت قلقة بفوبيا الخوف مما لاقته على يد الذين اتسمت شخصيتهم بالتستر في الجلاء من رجال تغيّرت مستواهم الذهني ورؤيتهم الواقعية من أمر الدين، فهي تنظر إليهم بنظرة الإزدراء لانصياعهم وراء الرغبات التي تتخذ من التحايل الديني غطاءا على أهوائهم الدنيئة وتزداد نفورا من رجال الدين، خاصة حينما تروى لها ما حدث لشمائل أخت

زوجها، كيف اغتصبها أستاذ الورع، حينما قصفت بيروت بالطيران الإسرائيلي: «باغتنا القصف ذات يوم ونحن في المدارس، ركضنا نحو الملاجئ مع أستاذنا، اخترت بكامل وعيي الأستاذ "المتوكل" لأظل معه، كان متدينا! خلال القصف أمسك بيدي وراح يركض بي... ثم وجدتني معه في نفق الأرض... أرتجف كهرة جرفتها السيول، لا أدري ما الذي أصابه...حتى عدت إلى البيت جريحة مجردة من العفة والشرف...» (*نفس المصدر*: ٧٢ و٧٣). تندّد البطلة بثنائية تلك السلوكيات الذي ينتقل فيها رجال الدين من الصورة المعبرة عنه في الخارج إلى الصورة التي انطبعت عليها شخصيتهم في الداخل، كأن الظلّ في شخصيتهم، أي «الجانب الأسفل في الشخصية و الجانب المثقل بالآثام، الجانب الوضيع والمكبوت والخبيء» (يونغ، ١٩٩٧م: ٢٤١)، تأثيره أقوى وأشدّ مما يظهرونه في صعيد الحياة الاجتماعية.

وتشير في موضع آخر إلى هذه السلوكيات الخداعية التي يترخص بها بعض الناس للتفلت من التكاليف الشرعية من أمثال الحاج عبدالله زوج شهد، أخت زوجها في لبنان وهو متصف بشيخ الورع في بيروت وإمام الصلاة في العائلة، ولكن هذه الشخصية تظهر بشكل آخر في 'دارفور' فينتحل لنفسه اسما آخر ويحترف كتاجر الأسلحة في ساحات الحروب ويتعاطى الخمر عكس ما تظاهر به في بيروت، وتقول: «كان هو الشيخ عبدالله زوج شهد، الملامح نفسها، اللحية نفسها، الصوت نفسه، الخاتم نفسه في خنصر يده اليمنى، التي مدّها لي هذه المرة ليصافحني، مع أنه لايصافح النساء. زوج شهد، بدون عطور...بدون عباءة...وبدون تقواه وورعه، رجل آخر، يتقاسم قنينة ويسكي صغيرة مع مغامر مثله» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٥٨). هكذا يتقنّع المتحايلون على الشريعة بقناع آخر قريب لشخصيتهم ويحجبون عن الأنظار حقيقة ذاتهم الشرسة، فمن هذا المنطلق تتعمق جذور الخوف والرهبة في نفسية مارغريت كلما ازدادت تعرفا على مسارح تجريبية يمثّل الأشخاص فيها بموضوعة الدين أدوارهم.

٢.٣ السياسة المقلقة

يتمحور البناء القصصي في الرواية حول ثيمة الخوف والسياسة بوصفها «إغراءا وعبئا يمثلان الضرورة» (وادي، ١٩٩٤م: ٢٣٠)، فيما تشير إليها الساردة إحدى من المكونات الأساسية

التي تعتمد على تصوير البطلة في وضع تجدر بها روعة الضياع والقلق. هي تفصح عن كراهيتها للسياسة على المجال الأميركي وتنقد بلسان لاذع الذين فرضوا بخططهم الأحداث الأليمة في حياة الناس.

١.٢.٣ السياسة التدخلية

تمثلت السياسة الأميركية المنفتحة على البلاد الشرقية، سيما الشرق الأوسط بسبب الإجراءات الخاطئة التي قام بها اللبراليون في تلك الأقطار بصورة كريهة عند من تعرّف على خططهم الهادفة إلى السيطرة العالمية. تتجه الراوية إلى هذا الخيط من السياسة بالرؤية العدوانية «القائمة على اعتبار الغير مخالفا ومضادا للأنا، الغير المتمثل في الغرب والأنا المتمثلة في الشرق... وهذا ما تمخض عنه فكرة الاستعمار الحديث الذي قام على الغلبة والهيمنة وفرض النموذج الأوروبي والأمريكي» (طراد وبوبقيرة، ٢٠١٦م: ٣٩)، من خلال حديث الأعضاء مع البطلة المفصح عن سخط العربي تجاه أميركا وموقفهم منها وفي هذا المجال تستخدم الراوية تقنية مشبهة بالمسح التتابعي «حيث تتحول وجهة نظر الراوي على نحو متتابع من شخصية لأخرى ومن تفصيل لآخر وهي بذلك تشبه عين الكاميرا في الفيلم حيث تقدم مسحا متتابعا لمشهد معين» (حسانين، د.ت: ٤٢)، إذ تبدى هذا الطور من السلبية في خطاب الشخصيات المختلفة الموجّه إليها بصيغة تنزعج منها، تارة في خطاب زوجها، تارة في خطاب عائلة زوجها، تارة في خطاب عمتها وأقربائها وتارة في خطاب الآخرين كما تقول: «ثم بعد كل هذا أصبح يخاطبني بصيغة جديدة إذ لم أعد بالنسبة له مارغريت، بل أصبحت 'أنتم الأميركان' وحتى شمائل التي أجد فيها السلوى أكثر من غيرها، تنسى وتستعمل معي المصطلح نفسه...ستات الأخوية..الغربية والشرقية والمتن!أنا الأميركان بالنسبة للجميع. كنت أفهم عمق وأبعادما يقال، فبشكل ما كان واقع السياسة الأميركية في الشرق الأوسط وتجاه العرب» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٢٩). تتعثر البطلة هنا بظلال الخيبة والقلق عندما تطَّلع على سلبية السياسة الأميركية بين العرب المتطاولة على البلاد بجرّ الفوضى وشياع المحن فيها. وهنا تبذل مارغريت كل جهودها بأن تصرف انتباه الجمع عن تقريعها للإنتماء إلى الثقافة الأميركية، ولكنها لم تنل من الحظ في هذا المسار

«وبذلك تظهر الراوية موضوعية، إذ تعترف صراحة بسلبية الموقف الأميركي تجاه العرب» (صفوري، ٢٠١٣م: ٧٣).

٢.٢.٣ السياسة التآمرية

حاولت مارغريت أن تتأقلم مع حياتها الجديدة في بيروت، ولكنها وجدت نفسها بين حرقة كبيرة هناك، ومن هنا اهتدت إلى فكرة المسافرة للحط من الروتينية المملة التي أصابت حياتهما في بيروت، وهما سافرا إلى ماليزيا وحين التقت البطلة هناك بصديقها القديم "نوا" تشكل بينهما علاقات لاشرعية إنتهت إلى أن تقرّرت انفصالا عن زوجها و«هذه الرحلة ولقاؤها بـ "نوا" كانت بمثابة نقطة الانعطاف والحافز الذي كانت تفتقده مارغريت في حياتها» (ملفوف، ٢٠١٩م: ٢٤٤)، وهذا ما تؤكد عليه بشهادة نفسها حينما تقول: «لقد جاء نوا ليحسم أمرا كان من المفرض عليّ أن أحسمه منذ بعيد...عدنا من ماليزيا فقرّرت أن ننفصل وأعود إلى نيويورك» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٣٢)، ولكن هذا الحب من البطلة له أخذ يتراجع شيئا فشيئا، إذ ذلك هو صحفي يقتضي عمله التحول من بلاد إلى بلاد تنبعث منه أدخنة الحروب المستعرة وإن مضى زمن قليل حتى تفاجأ بنبأ إختطافه ببغداد في عملية إرهابية، فتقرّر أن تتجه إلى العراق لتختبر القضية عن قريب ومن هنا يتوغل نسيج الرواية في مسار تنجلي فيه حقيقة شخصية البطلة مارغريت العميلة السرية الأميركية التي تم تجنيدها من قبل "منظمة النسور السوداء" بعد تفجير شرم الشيخ وأرسلت إلى الشرق الأوسط بعد تلقي التعاليم المهنية لخدمة السياسة الأميركية تحت غطاء منظمة إنعاش العالم الثالث وكانت مهمتها الرئيسية والخفية هي محاربة الإسلام وقمع أي بوادر النهضة في المنطقة وهي كانت عنصرا فعالا في مشروع سري يدعى "حقول البذور الذكية" ومن هنا يتضح للقارئ أن سبب انفصال مارغريت عن زوجها لم يكن بسبب الثروة التي ورثتها عن أبيه كما لم يكن للازدواجية الجديدة في شخصيته والسبب يعود إلى أن أياد أصبح غير قادر على إنتاج وحينئذ أغلفت ملفه وقرّرت أن تتركه على هواه؛ لأنها كانت تدسّ في مشروبه عقارا لمسح الذاكرة و«لم يعرف أبدا أن نطافه كان يزرع في أرحام نساء ذوات قدرات خاصة في بيروت وأن له أكثر من عشرين ولدا سيكونون في المستقبل عقولا أميركية ذكية بلا جذور تعثر مصيرهم المرغوبة أو تربطهم ببلدهم الأصل» (*نفس المصدر*: ١١٧).

استهدفت السياسية الأميركية في خريطتها طبقة العلماء والمثقفين وكان البغية المقصودة لها و«المهم، هو الحصول على أعلى ربح ممكن» (ياسين، ١٩٧٨م: ٣٧)، لأن العالم أو المثقف بصفته شخصا ذكيا يشكل الفئة الأكبر مكانة في المجتمع «من حيث هو إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عام تجاه عصره ومجتمعه» (محمد الشاذلي، ١٩٨٢م: ٨). وهذا ما يؤكد عليه البروفيسور الأميركي بنظرته الاحتقارية للبلاد العربية ويقول: «من يهمه إن قُتل عالم ذرة في العراق أو عالم كيمياء أو رياضيات؟ العالم العربي كله يقتل أدمغته، يا ماغي هذه الشعوب تقتل كل شئ، حتى الهواء يقتلونه» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٩٤-٩٣).

توجّه الفاروق نقدا لاذعا لساسة الأميركان وسياستها برمتها لما تثير من الخوف في تقاسم الثروات والكنوز الانسانية خاصة حينما تتوغل في الحديث عن هذا المشروع السرّي وقد يضحي من البديهي أن يؤدي حالة الخوف من السياسة الأميركية حيال ذوي البشرة الشرقية إلى فوبيا آخر؛ لأنها من خلال كثير من الممارسات التي بدت في الحياة الاجتماعية الشرقية والتي كانت محورها الخوف من الانسان العربي أو الشرقي ترى أثرا واضحا من السياسة الأميركية في جانب الأوصاف المتدنية المتبلورة في المجتمع التقليدي وهذا تعكس في نظرتها الارتباك وحالة التأزم الذي أحدثتها الأميركان بأياديها الناشطة في البلاد الشرقية.

٣.٣ المحفّز البيئي

تأثرت مارغريت بما حولها من مكونات المحيط البيئي وبالتالي انعكست تأثيراتها على حالاتها النفسية وهذا يعني أن البيئة لها تأثير كبير عليها بمنبهاتها التي تكون من العوامل المهمة للإثارة فيها مشاعر الحزن والضياع.

١.٣.٣ الثقافة المسبّبة للتوتر

تولي الفاروق في غضون هذه الرواية عناية بارزة لرصد تمظهرات هذا النمط السلوكي ومكامن الخلافات المثيرة للخوف في بيروت، فتعد هذه الظاهرة للأسرة اللبنانية السنية التي عايشتها البطلة خلال إقامتها ببيروت بما تتخللها من العلاقات التبادلية بين الأعضاء كواجهة دالة

تندرج تحتها الأنساق الثقافية المتبيانة في المجتمعات العربية عامة وتسعى من وراء ذلك مصادرة تلك الأطر التنظيمية من منظور النقد الثقافي. إن نظرة مارغريت إلى الشخصيات المتواجدة في أسرة زوجها كانت ذات منحى سلبي أكثر منه إيجابيا، إذ تنكشف أمامها صورة الشخصيات حقيقية عبر حديثها مع بعضها ومن خلال مشاهدة تصرفاتها وأفعالها، تتعمق جذور الكراهية والقلق لها في نفسها؛ لأن هذا القطاع من المجتمع «يتشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهوائها ومواقفها» (مصايف، ١٩٨٣م: ٨)، فهي تصف هذا النمط الغريب من التلون في أسرة زوجها وتقول: «الغريب في آل منصور هو سرعتهم في التلوّن، إذ فقط شهد لها وجه صارم واحد غير ذلك، فالحاج وهب المواظب على الصلاة والصيام وتقبيل يدي والدته، يعشق النساء أكثر من أي شئ في الدنيا وزوجته... تدّعي أنها على وضوء دائما... وتؤدي الحركات اللازمة للصلاة وهي تفعل ذلك لأنها تنحرج من أن يعرف الجميع أنها بعادتها الشهرية» (الفاروق، ٢٠١٠م: ١٦-١٩).

كل هذه الأشكال غير المتوازنة أظهرت لديها التناقض الجوهري في المجتمع العربي، كما ساعدت في دفعها خطوات أقل إنسجاما وثباتا فيما يخص بالحياة في هذه البيئه المفعمة بالغرائب. يزداد هاجس الخوف في نفس البطلة عندما تقارن البطلة بين شخصية أختي زوجها شهد وشمائل وبهذه المقارنة تتراءى لها ظواهر سلبية لاتشغلها عما حدث لها من عقدة الإسلام؛ لأن أسرتها قتلت باسم هذا الدين مما يبرر لها أن تسيء بكامل حريتها على هذا الدين لما ارتكبته الجماعات الإرهابية. كل واحدة منهما تختلف كليا عن الأخرى وهي ترى في الأولى نموذجا من النساء الثريات المتطرفات اللاتي يزعمن بأن الغلبة لمن يمتلك المال والجاه ومن كان له المال فهو صاحب الحق. تتمثل لديها شهد بتزمتها المتصلبة كصورة سلبية للمرأة التي تثير هاجس الرعب في دواخل الشخوص في المجتمع الإسلامي، حيث تقول: «وأحيانا أخرى تستشهد بأحاديث غريبة على أن المسلم إذا قتل يهوديا دخل الجنة، وعبقرية شهد لاتتوقف عند هذا الحدّ، فهي أحيانا تعتبر "هتلر" بطلا، لأنه أحرق اليهود وحين أسألها: هل سيذهب إلى الجنة؟ تجيب بـ لا وبثقة عالية... فهتلر ليس بمسلم وكل من ليس بمسلم في النار» (*نفس المصدر*: ٣٥). فأما الثانية تخالف تماماً تلك المنهجية التي تسير عليها شهد

وتعتقد أن الإنسان حر في معتقداته، وفي نظرة البطلة تتمثل كصورة إيجابية للمرأة المسلمة في المجتمعات العربية. لقد شكلت هذه المقارنة البسيطة بين الأختين النظرة التشاؤمية للبطلة التي كرست فكرتها على استنكار الأنساق الثقافية المتباينة. هذا الاختلاف الواضح في بيت آل منصور يشكل لمارغريت الجو الجنائزي الذي تشم منه رائحة الخوف؛ لأن النسق الثقافي الذي سارت عليها شخصية شهد تشكل كفتي التطرف والإلحاد في رؤية البطلة، أما التطرف فهو الذي يذكر لها سوداوية الطفولة بتزمتها المتكافئة لتبريرات الجهاديين، وأما الإلحاد فهذا الذي يميل إليه الشبان تعبا من التدين الذي ليس وسيلة للتقرب إلى الله، وهذا ما تشير إليه الكاتبة في موضع آخر على لسان البطلة، لو كانت تباع مجوهراتها في مزاد علني لحلت جميع مشكلات الفقراء في لبنان.

٢.٣.٣ الإرباك الأيروتيكي

يعتبر الجانب الأيروتيكي لدى بعض الكاتبات في عصرنا الحالي من أهم الجوانب المسيطرة على رواياتهن ليعبرن بها عن أفكارهن ورؤاهن تجاه القضايا الممنوعة وفق الأساليب الفنية الموجودة في الرواية مستعملات لفظة الجنس بدل لفظة الحب؛ لأن الأول «معطى ملموس مرتبط بالجسد والحب إحساس هلامي مرتبط بالروح والشعور... وقلما وجدنا في أعمالهن توظيفا لمفهوم الحب أو تصويرا لعلاقة حب صادقة» (الداديسي، ٢٠١٧م: ٨ و٩). أتت الفاروق في هذه الرواية بشخصية شبقة مهووسة تمثل رمزية الانفتاح والتحرر للمرأة الغربية لتدلّ بصورة ضمنية على «أن في الغرب المرأة لها المكانة والكلمة والحرية في اختيار مصيرها ومستقبلها عكس الشرق الذي يحكمه الرجل، فالسلطة والقرار وحده» (تعزبين وشاريخ، ٢٠١٣م: ٦٩).

محيط علاقات مارغريت الذي كان من الواجب أن تحصره بزوجها أياد أخذ يتقلص بالتدريج، فعوض أن تكون العلاقة الزوجية منبع الدفء والحنان، تفاجئنا الرواية بصورة من الحرمان العاطفي؛ لأن البرود العاطفي الذي أحسته بمواكبة الحياة مع زوجها كان تلك الحلقة المفرغة التي فقدت دفء حياتها العاطفية فيها، فهي دائما تشتهي مبادرة الحب من زوجها، ولكن لم تنل في النهاية من الحظوة لما حدث من التغيرات في سلوكيات أياد: «لكنني كنت

أتضايق من الأهداف التي غابت من حياتي وحلقة الفراغ التي أدور فيها شيئا فشيئا، أصبحت تضيق عليّ حتى ما عاد بإمكاني أن أتنفس، أشعر دوما أن التغيرات التي أصابت أياد بدأت من دمائه» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٢٧ و٢٨). فهي عاجزة عن الإفصاح عما يختلج في صدرها وكل ما هو نابع عن تجربتها ووعيها يدل على جاذبية الدخول في علاقة إيروتيكية مع الآخر ونفسها تشير: «أما أنا فقد كنت زوجة جائعة، تبحث عن المتعة، فوجدتها مع نوا وأصبح من الصعب أن أجدها مع أياد مرة أخرى» (*نفس المصدر*: ٣٢)، وهنا تفضل مارغريت الاتصال غير المسموح بشخص آخر هروبا من الوضع الذي عاشته مع زوجها، «فالهروب بعد الزواج ليس لأجل أن ينسى الزوج أو الزوجة همومها بل قد يكون غالبا لأجل الخيانة، الخيانة التي تُشعِر كلاً منهما أنه الأصح فهو ناجح في علاقاته اللاشرعية» (أبرادشة، ٢٠١٣م: ٩٤). تحاول مارغريت أن تبرر هذه الخيانة بأنها لم تجد في زوجها من الحب ما رأت في الشخص الآخر ولم يفهمها كما فهمها الشخص الآخر ومن هنا سقطت لديها الأدلة التحريمية عرفيا ودينيا بارتياد النساء هذا المحظور الماثل في العلاقات الايروتيكية، فهي تؤكد على استحالة استمرار الحياة الزوجية مع زوجها إذ انقطعت الأسباب بينهما بتلك الشهوانية المفتقدة التي وجدت في نفسها وحولتها أن ترتاد الفضاءات المنبوذة والمحرمة، فالكاتبة كما تبدو من هذه العبارات تنقل هذه الفكرة ملحة بأن «استلاب الجسد وتعطيله قد يمهد لكسر الروح وتدميرها، فالجسد له حقوق وللروح حقوقها، لكن حقوق الروح لاتتحق إذا قمع الجسد» (عزيز ماضي، ٢٠٠٨م: ٢٤٠)، ولهذا نرى بأن البطلة لا تعتبر تلك الممارسات خيانة بهذا المعنى الضيق، لأنها لم تعد تحبه من هذه الجهة ولم تكن تستطع التأقلم معه وقد قرّرت الانفصال عنها بالطلاق: « لم أخبره أني خنته خيانة كاملة جسدا وتفكيرا...كأية إمرأة عربية أخفيت خيانتي له، لأنها لم تكن خيانة بهذا المعنى الضيّق» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٣٢). بلغ البوح بالمحظور من العلاقات اللاشرعية إلى ذروته بلغة سخيفة في الأحداث الأخيرة من الرواية حيث توغلت مارغريت في فضاء يتم فيه مشروع "حقل البذور الذكية" لتلقيح النساء الغربيات بنطاف العلماء العرب وهنا تجعل «الرواية نصا اختراقيا يقوض كل الأعراف التقليدية ويعكس جرأة الكاتبة العربية المعاصرة في طرح مثل هذه المضامين»

(صفوري، ۲۰۱۳م: ۷۷)، لأنها بدل أن تتحاشى التعبير عن الومضات الجنسية برمزية أو صورة تعريضية، صوّرت المشاهد الإباحية بكثير من البذاءة والابتذال تغاير تمام المغايرة السلوكيات الأخلاقية للمجتمع المحافظ.

۳.۳.۳ الرحلات المريعة

تتشظى أماكن العبور لمارغريت في هذه الرحلات في ذروة من لحظات الدهشة والوجس، «فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيم حدتها وذلك أنه ليس هناك مكان غير مشروط في الأحداث» (بحراوي، ۱۹۹۰م: ۳۱)، إذ ترى هناك أن تحتاط في سلوكياتها وتمارس حياتها بحذر.

۱.۳.۳.۳ دارفور

تنظر مارغريت إلى المدن التي شهدتها مع نوا على أنها مغلقة على مصادر الخوف والوحشية، وكانت 'دارفور' من تلك الأمكنة الآثمة التي اسودّت ملامحها بلون الحرب والدّخان، إذن القتال كان سمة بارزة تحكي عن الحالة المأساوية لمن يعيش في هذه البقعة الجغرافية: «كان حرّ تموز خانقا في دارفور وأشكال المقاتلين مخيفة أكثر مما توقّعته وكنت مضطرة لتغطية رأسي ووجهي وترك عيني فقد تظهران» (الفاروق، ۲۰۱۰م: ۵۷). هذا المقطع تحكي عن استعادة الذكريات للبطلة في المدينة التي شوهّت وجهها جراء الحرب الداخلية والظروف المستعصية الناشئة عنها، حيث لايوجد فيها متنفس لمواصلة الحياة العادية فيها،كأن فضاءها يمثّل واقع الانحباس في زنزانة تحجب عن المرء حريتها وتكبحها بالتضييق على حركة الشخصيات في إطارها وهذا السجن «يمثّل الواقع الأشد مرارة، واقع الانحباس والإنغلاق على الذات» (عبود، ۲۰۰۹م: ۳۹). وبالإشارة إلى إرغامها بالتستر وراء الغطاء السودانية توحي بعمق المقاساة التي أحاطت بالنساء السودانية وكانت دارفور بهذا الوصف تعد من الأمكنة المعادية التي يعيش الانسان فيه حالة الضياع وهو بذلك يفقد فيها طعم الحياة لأنه في إطارها السجني يشعر بالتقييد المملّ وتكبيل الحريات،«و هو أيضا مكان الكراهية و الصراع» (بوعزة، ۲۰۱۰م: ۱۰۵). وبالتالي تؤكد الكاتبة بلفظة المقاتلين إلى أن

رحى المعارك دوما دائرة هناك وبإسنادها صفة المخيفين للمقاتلين تدلّ على الفظاعة الكامنة والوحشية المخبّأة التي تأتي من القيام بالأعمال العدوانية أثناء الحروب.

ومما يزيد من وحشة مارغريت من البقاء في دارفور كان اطلاعها على أن هذا المكان المحاط بالأسرار صار سوقا مربحة لتجار الأسلحة والمخدرات في خضمّ الصراعات كوقود لاستمرارية الرائحة المنتشرة من البارود والدّخان في أجواء البلاد: «الحرب هنا، يضع إصبعه على دارفور ويردف: إذن هناك من يستفيد من هذه الحرب هنا وهنا وهنا! تجّار الأسلحة والمخدّرات والأعضاء البشرية والرقيق! أقاطعه: مافيا إذن؟ يجيب كلهم مافيا، بما في ذلك الأنظمة» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٥٦ و٥٧). خاصة حينما يعرّفها نوا إلى 'إسماعيل جاد الحق' تاجر الأسلحة والمغامر البناني، زاد التشويش في داخلها، إذ تعرّفت على أنه كان 'شيخ عبدالله' الذي كان في الظاهر يؤمّ صلاة الجماعة في آل منصور مرتديا ثوب الورع، موصيا بطهارة الأموال في تلك البيئة ومن هنا يزال عن عينيها ستار الحقيقة بأن الثروة الوفيرة التي اكتسبها الشيخ والتي تفتخر بها زوجها في آل منصور وصيّرتها أداة مؤثرة لترسيخ نظرتها في الأسرة كانت حصيلة متاجرات الشيخ عبدالله بالمخدرات وأنواع الأسلحة بطرق غير قانونية وهذه الصورة المشوّهة من الشخصيات الدينية سبّبت النفور في ذاتها ودفعتها «بالتمرّد على سلطة المجتمع الشرقي الذكوري، ضارية عرض الحائط كل عاداته وتقاليده وأعرافه البالية» (ملفوف، ٢٠١٩م: ٢٤٨).

٢.٣.٣.٣ إسلام آباد

وفي هذا المسار الرحلي، سافرت مع نوا إلى باكستان مساهمة في إنجاز تقرير يهزّ العالم من أجل أن تتحرك منظمات حقوق الإنسان، فذهب بها نوا الصحفي في مدينة إسلام آباد إلى محكمة مضحكة على حدّ قولها توحي بتغييب الارتياح عن نفسها بما رأت أمامها بوضوح من مشاهد تعسفية عن الفئة المتطرفة الدينية، فتكلّمت حانقة على الواقع المشوه الذي مارسته المحكمة الباكستانية هناك باسم الدين: «قادني نوا إلى محكمة مضحكة جلس فيها رجل بلحية طويلة وقبعة بيضاء تشبه قبعات اليهود السوداء وقميص اختلط بياضه بالوسخ وراح يتكلم حانقا، مشيرا إلى امرأة مفقوءة العينين، مجلوفة الأنف ومقطوعة الأذنين... لقد شك

الرجل في زوجته، ظنّها تخونه مع رجل آخر وافترض ما افترضه وبتر ما بتر... السيدة المشوة التي تحمل اسم زاهدة نفت ما اتهمت به ولكن يا للغرابة طلب القاضي شهودا لإثبات برائتها ولم يطلب من زوجها شهودا لإثبات تهمتها» (*نفس المصدر*: ٦٣). لقد سجلت البطلة انبهارها لمنظر هذه المدينة بما يجري في محاكمها مع العلم أن ثمة حواجز مازالت تفصل الناس وتلك الأميال الشرسة عن حقيقة فهم الدين. فالمتمعن النظر في هذه العبارات يفهم أن الكاتبة بتوظيف الدلالات اللفظية في كلمات "الوسخ، حانقا، اليهود وزاهدة" بما تحمل في ذاتها من معاني الجفاف والضياع لعناصر الديستوبيا تريد أن «تقدّم صورة مظلمة عن المجتمع الذي يفقد فيه الفرد حريته وأمنه وفردانيته وحتى مشاعره» (پرچگاني، ١٣٩٧ش: ١٣٦). هذه المدينة حسب ما تستشفه البطلة من هذه الرحلة زادتها خوفا واكتئابا وتوجست منها بقدر ما اشتدّت المحنة للنساء الباكستانيات في محاكم التهم وليس من السهل لها أن تشقّ الدروب وتجوب المسالك هناك إذ تعرضّت للإحباط النفسي بما تحتويه المدينة من أشباح الشقاء: «أسبوع آخر في إسلام آباد كان سيجعلني ابتلع علب أدويتي ضد الاكتئاب دفعة واحدة» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٦٤)، لأن هذا المكان المعادي يعدّ رمز اللاحرية والنساء الباكستانيات لم يجدن فيها أي أثر ضئيل تتناغم فيه قيم السلام والحرية بسبب التطرف الذي أورثته الحروب المتتالية هناك.

٣.٣.٣.٣ بغداد

البعد البصري لمشهدية الفضاء المكاني المحاط بالخلفية القاتمة في بغداد تكوّن دلالة مقصودة من جهتين: الأولى، الوجهة التصويرية التي تتصل تاريخيا بأزمة الوطن العربي إثر الغارات الأميركية على العراق حيث صار صدى المدينة على المستوى النفسي للمواطنين أكثر عمقا من صداها على الظاهر المشوه، «الهواء له رائحة، ليس برائحة البارود، هذه المرة، ولكنها رائحة الدم. قال "ميتش": إن الموضة تلك الأيام هي تفخيخ الكلاب وتفجيرها هنا! ...يفجّر المجانين والكلاب والحمير، حين تنضب ذخيرتهم من الشبان القادمين من المغرب العربي ودول أخرى من أجل الجهاد» (*نفس المصدر*: ٧٩ و٨٠). يتضح من خلال هذه العبارت بأن بغداد تغيّرت ملامحها المدنية وتوتّرت ظروفها الاجتماعية والسياسية بسبب هذه

المخاطرات والصراعات الطائشة التي أحدثتها الجماعات المسلحة من جانب القوات المتدخلة في العراق، الأمر الذي أدّى إلى تفاقم الأزمة الإنسانية في هذا الفضاء «الذي يلفه الضباب والتفكك والاضطراب والتبعثر وتغطي حقوله الدماء» (عزيز ماضي، ٢٠٠٨م: ٢١١). فمدينة بغداد بهذه الصورة التي تجسدها الرواية كانت محطة تحلق فوقها أشباح الموت بعدما افتقدت هدوءها باجتياح الحروب وتغلغل دبيب الموت في حياتها: «رائحة العرق البشري والغبار والبارود تتجوّل في الأجواء، كأنها كائنات مرئية، الجنود الأميركان مرات والشرطة العراقية مرات أخرى. الخوف ينتابنا أكثر كلما اقتربنا من بزاتهم المتشابهة، يقفون للتفتيش وكأنهم ينتظرون ملاك الموت» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٨٥). هي تخاف في هذا الجو المفعم بغبار الحرب وتشعر بعدم الاستقرار في مواقف التفتيش كما يشعر به الجنود الأميركان والقوات العراقية في نفس المكان،كأن الموت ترافقهما ظلاله باستمرار حينما يقومان بفحص السيارات والإجراءات الأمنية.

أما الوجهة الثانية فترتبط بالغزو الناعم الذي شنته الأميركان وعملائها في بلاد تجشمت شتى ألوان من ضروب التنكيل والاحتلال المؤديين إلى استلاب الهوية والانتماء الوطني. سافرت مارغريت في مسارها الرحلي إلى أماكن عدة؛ لأن المهمّة الموكلة إليها قد أخذت منحى دالا على التنقل ولابد لها أن تعبر المسافات المتنوعة حسب الخريطة المرسومة ومن هنا تستجلب المنافع الجمّة من تلك الأمكنة التي خبرتها البطلة في رحلاتها لمصالح المنظمات الأميركية. كان مشروع حقل البذور الذكية من الأغراض المبرمجة التى قام بها الدولة الأجنبية داخل البلدان العربية ومنها العراق لتستغل بتنفيذه الجينات الذكية لعلماء العراق بطريقة اختلاسية حصولا منه على الرساميل العقلية للإقليم الشرقي وتبديدا من الداخل لقدراته الذاتية وتقضي على من واجه أمامها للكشف عن خباثة السياسة الاستعمارية: «فشلت مؤسستنا في بغداد بعد أن حوّلها البروفيسور شنيدر إلى مؤسسة تجارية وحين اكتشف نوا ذلك، فبرك له قصة الاختطاف وأرداه قتيلا» (الفاروق، ٢٠١٠م: ١١٧ و١١٨). تطلع هنا مارغريت على ما انتهى به مصير نواكما تطلع على سبب الفشل لهذه المؤسسة السرية التي كانت تعمل«لتقوية مصالح السياسة الأمريكية مقابل تدمير القواعد الدينية وتخريب الشبكة السياسية

في بغداد» (إيمان، ٢٠١٨م: ٣٦٨). نستشف مما يقتضيه النسيج السردي أن بغداد كانت منفتحة للصراعات الحاقدة بين الغرب والشرق كما تعتبر من أبرز الأمكنة دلالة على مواضع الخوف في الرواية؛ إذ جعلت منها الكاتبة ديكورها المتميز المغطّى بصور مدهشة من الأحداث لكشف الحقيقة عن شخصية البطلة في الفضاءات السامة التي تسيّرها المشاريع الأميركية.

٤.٣ الحرب

«تعدّ الحرب من أبشع ما يمكن أن تواجهه البشرية بدليل أن نهايتها لاتعني أبدا نهاية مآسيها» (خيرالدين، ٢٠١٤م: ٣١)، إذ تخلّف هذه الظاهرة العارمة آثارا غير متداركة في صعيد الحياة البشرية. تمثّل البطلة خوف اللبنانيات من اندلاع نيران الحرب في البلاد بصورة تراجيدية حينما تقول: «بعضهن ترملن خلال الحرب وبعضهن فقدن أبناء في عمر الزهور وبعضهن فضلن تهريب أبنائهن إلى الخارج خوفا من أن ينخرطوا في الأحزاب السياسية التي استعملت المراهقين والشباب وقودا للحرب؟» (الفاروق، ٢٠١٠م: ٢٤). وفي هذه العبارات تدين بسخط تلك السياسة التي ينتهجها أرباب المعارك وهم على حد قولها «يحركون البشر مثل عرائس الكراكوز» (*نفس المصدر*: ١٠). لقد ضاعفت الكاتبة في الرواية من التحسيس بآلام الحرب وخوفها للسكان والمواطنين حيث لم تجد البطلة في هذا الجو المرعب من الدمار القاسي أي أثر ضئيل من الاطمئنان حتى في القرى الجبلية التي يقضي السكان حياتهم في كنفها بشكل قسري «فبيت جدي قصفته مدافع لبنانية أيام الحرب وظلَّ طللا شاهدا على الحرب» (*نفس المصدر*: ٢٠). انطلاقا مما سبق ذكره تستنتج البطلة بأن الحكومات المسيطرة على الأقاليم الشرقية تتجاهل القاعدة المتينة التي يجب أن تستند إليها لمصالح الشعب وترى أن اشتداد وطيس الحروب وفشل الإدارة السياسية كما يصرّح نوا، يعود إلى وقوع «الشرق تحت سيطرة مجموعة من الأئمّة المشبوهين وأغلب هؤلاء الأئمة مسيرين من طرف منظمات إرهابية لتفتيت الشرق من الداخل» (*نفس المصدر*: ٤٨-٤٧). وتقصد الكاتبة من المنظمات الإرهابية، الأمريكيين الذين يثيرون الحروب في البلدان الشرقية لإزاحة الحواجز التي وضعت أمامهم للتكفل بمهمة النهب للحصائل التي نتجت عن عناء الشعب الشرقي. لقد

برزت هذه الصورة من الممارسات التحريضية لشنّ الحروب في راهن الأقاليم الشرقية في بداية الرواية حينما تؤكد البطلة على مغادرة العالم الغربي للوصول إلى جنة الشرق المحمّلة بالثروة، مشيرة إلى تلاعب القوى الغربية بدُماها المسيرة في حلبات الصراع: «كأنهم يجلسون أمام لوح شطرنج ويلعبون ويربحون ويخسرون، يخططون ويهجمون ويقتلون...القتال حتى الموت، من أجل الإمتاع! هذا هو العالم الذي جئت منه» (الفاروق، ٢٠١٠م: ١٠). تتضافر الألفاظ الدالة على التجارة الرابحة والخاسرة مع الألفاظ الدالة على القتال والموت في هذه العبارة للإشارة إلى حتمية الصراعات النازفة التي تحمي وطيسها الدول الغربية من أرض الوطن، الأمر الذي يؤدى بالنتيجة إلى سلطوية القهر ومعاناة الانشطار في براثن السياسة الإستعمارية.

٤. النتائج

تُولي الفاروق بفوبيا الطائفية الدينية عناية بارزة في النص حيث نستطيع أن نقول هذه القضية الركيزة الأساسية التي سردت على خيوطها أقاليم الخوف، مستهدفة استكشاف خبايا الواقع المرير على مستوى حياة المجتمع.

تعتبرالكاتبة الواقع المأزوم وتداعياته السلبية في الأقاليم الشرقية راجع للدين ولمجتمعات تسيرها التقاليد أكثرها من الدين، فلهذا ما تطرقت إلى الكشف عن الواقع الديني المشوب فحسب، بل أفضى ذلك بممارسة الحديث عن الثيمات المسكوت عنها ونقدت تلك الحقيقة الزائفة التي روجتها الجماعات المتطرفة عن الدين الإسلامي.

تعتقد الكاتبة أن السياسة الأميركية المتظاهرة ببذل الجهود لمساعدة الدول الشرقية سياسة خداعية بنيت على استغلالها للعلماء الشرقيين وتبديد الخيوط الوفاقية من داخل بلادهم، هادفة تحقيق مصالحها الاستعمارية وسلب الكنوز المادية والمعنوية لتلك الشعوب، لكي تبقى مسيطرة على المنطقة وحدها.

إن التجربة البطلة المريرة والأحداث التي عاشتها في علاقاتها مع الشرقيين تدلّ بوضوح على أن فضاءات الأديان والتيّارات السياسية والأنساق الثقافية تتصارع إما صمتا وإما علنا فيؤدي ذلك إلى أمراض اجتماعية متنوعة تحوم كلها حول الخوف والقلق.

رغم الحواجر التي التي اعترضتها الساردة في بعض المرات يمكن القول بأنها نجحت بشكل نسبي في الحكي عن أفكارها داخل البنية الاجتماعية للمجتمعات العربية عامة.

المصادر والمراجع

١. الكتب

إبراهيم سليم، عبد العزيز (٢٠١١م). **المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال**، ط١، الأردن: دار المسيرة للنشر.

إسماعيل، سراج الدين (٢٠١٥م). **التحدي؛ رؤية ثقافية لمجابهة التطرف والعنف**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بحراوي، حسن (١٩٩٠م). **بنية الشّكل الروائي**، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي.

بوعزة، محمد (٢٠١٠م). **تحليل النص السردي؛ تقنيات ومفاهيم**، ط١، الرباط: الدار العربية للعلوم.

حسانين، محمد مصطفى علي (د.ت). **استعادة المكان**، د.ط، د.ب.

الداديسي، الكبير (٢٠١٧م). **أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة**، ط١، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة.

سينشتاين، كاس.ر. (٢٠١٤م). **الطريق إلى التطرف**، المترجم: سميحة نصر دويدار، ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

عبود، أوريدة (٢٠٠٩م). **المكان في القصّة القصيرة الجزائرية الثورية؛ دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله ركيبي**، ط١، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

عزيز ماضي، شكري (٢٠٠٨م). **أنماط الرواية العربية الجديدة**، الكويت: عالم المعرفة.

الفاروق، فضيلة (٢٠١٠م). **أقاليم الخوف**، ط١، بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر.

فرويد، سيجمُند (١٩٨٩م). **الكفّ والعَرَض والقلق**، مترجم: محمد عثمان نجاتي، ط٤، القاهرة: دار الشروق.

مجموعة من المؤلفين (٢٠١٥م). **العلمانية و سجالات الكبرى في الفكر العربي المعاصر**، ط١، بيروت: دار الروافد الثقافية.

محمد الشاذلي، عبدالسلام (١٩٨٥م). **شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ١٩٥٢–١٨٨٢**، ط١، بيروت: دارالحداثة.

مصايف، محمد (١٩٨٣م). **الرواية العربية الجزائرية الحديثة**، د.ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

نسيم، بلهول (٢٠١٤م). **التطرف الديني**، ط١، عمان: أمواج للنشر و التوزيع.

وادي، طه (١٩٩٤م). **دراسات في نقدالرواية**، ط٢، القاهرة: دارالمعارف.

ياسين، بوعلي (١٩٧٨م). **الثالوث المحرم**، ط٢، بيروت: دار الطليعة.

يونغ، كارل غوستاف (١٩٩٧م). **علم النفس التحليلي**، المترجم: نهاد خياطة، ط٢، اللاذقية: دارالحوار للنشر والتوزيع وادي.

٢. الرسائل والأطروحات

أبرادشة، سوسن (٢٠١٣م). **المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجزائر: جامعة سطيف ٢، كلية الآداب.

تعزبين، زهرة؛ شاريخ، الويزة (٢٠١٣م). **الذات في الكتابة النسوية، أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق**، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة عبدالرحمن ميرة.

طراد، نجوى؛ بوبقيرة، شهرة (٢٠١٦م). **الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية؛ موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح أنموذجا**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب.

٣. الدوريات

إيمان، مليكي (٢٠١٨م). «ثيمة المسكوت عنه في الرواية النسوية الجزائرية بين الاعتدال والابتذال؛ رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق أنموذجا»، **مجلة دراسات معاصرة**، جامعة تيسمسيلت الجزائرية، المجلد٢، العدد٢، صص ٣٧٢-٣٦٤.

پرچگاني، فاطمة (١٣٩٧ش). «الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة؛ قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان»، **مجلة إضاءات نقدية**، العدد٢٩، صص ١٤٩-١٣١.

خيرالدين، شمامة (٢٠١٤م). «الحرب بين التحريم والتقنين»، **مجلة سياسات عربية**، قطر، العدد٩، صص٤٣-٣١.

ركاب، عبدالله (٢٠١٧م). «سلطة العنوان وتشظي الدلالة في رواية أقاليم الخوف للروائية فضيلة الفارق»، **مجلة كلية الآداب و اللغات**، جامعة بسكرة، العدد٢٠، صص٢١٧-٢٠١.

صفوري، محمد (٢٠١٣م). «سقوط الأقنعة في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق»، **مجلة مجمع اللغة العربية**، حيفا، العدد٤، صص٨٦-٦٥.

ملفوف، صالح الدين (٢٠١٩م). «جدلية الأنا والأخر في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق»، **مجلة اللغة العربية**، المجلد٢١، العدد٤٥، صص٢٥٢-٢٣١.